الدرس الثاني

قوله:{وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ}.

العزيز: هو من له العزة المطلقة والعزة ثلاثة أنواع:

النوع الأول: عزة القدرة.

النوع الثاني: عزة الغلبة.

النوع الثالث: عزة الامتناع.

فهو يدل على كمال القدرة والغلبة والامتناع؛ ولهذا تقول العرب: أرضٌ عزاز. تريد الأرض الصلبة القوية، بخلاف الأرض الرخوة.

الغفور: مشتق من الغفر، والغفرُ: هو الستر والتجاوز، ومنه سمي المغفر أي الخوذة التي تغطي الرأس مغفرًا؛ لأنه يستر الرأس ويقيه.

فالله تعالى غفور؛ لأنه يستر على عبده المؤمن ويتجاوز عنه فقد قال النبي صلى الله عليه وسلم: {إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا، أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أَيْ رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ، فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ}[٢٠].

قوله:{الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ}، والسموات: هي كل ما علانا فهذا خلق عظيم عالمٌ علوي كبير أفادنا الله تعالى بأن عددهن سبع: كما قال الله تعالى: {اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا} [الطلاق: ١٢]، ولفت أنظارنا إلى مشهدٍ مألوف يرفع

[٢٠] أخرجه البخاري- (٢٤٤١).

أحدنا طرفه إلى السماء، فينظر إلى هذه القبة السماوية المحيطة بالأرض فلا يكترث بهذا المنظر، ولا يحرك فيه ساكنًا.

قوله: {طِبَاقًا}، أي بعضهن فوق بعض، وهل هنَّ متراصات متلاصقات، أم بينهن مسافة؟، قولان للمفسرين:

القول الأول: أن بين كل سماء وسماء كما جاء في قول النبي صلى الله عليه وسلم: { هَلْ تَدْرُونَ كَمْ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ؟» قَالَ: قُلْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ، وَمِنْ كُلِّ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِائَةِ سَنَةٍ}[٢١]، وهذا هو الأقرب.

القول الثاني:[٢٢]

{مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَاوُتٍ }، أي: ليس في خلق الله من خلال ولا اضطراب ولا نقص؛ لهذا قال: {فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ}، أي أعد النظر مرة أخرى وتمعن في هذه السماء، هل ترى صدوعًا وشقوقًا وفتوقًا؟، لا، بل هو بناء محكم قال الله تعالى: {وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ} [الأنبياء: ٣٢]، ثم قال: {ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ}، أي: مرتين، وذلك أنها إذا تكرر عُبر بكرة بدلًا من مرة.

قوله: {يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ}، أي حينما تحاول مرة أخرى وتدمن النظر إلى السماء لتبحث عن شقٍ وصدعٍ وفتقٍ وتحاول يمنة ويسره وأمام وخلف، فالنتيجة أن يكِل بصرك ويتعب، لذلك عبر بقوله: {خَاسِئًا}،أي ذليلًا صاغرًا ومكسورًا.

قوله: {وَهُوَ حَسِيرٌ}، أي: ضعيف ومجهد؛ لأنه لم يصل إلى ما يريد بعد بذل المحاولات

[٢١] أخرجه الترمذي- (٣٢٩٨)، وأحمد- (١٧٧٠)،وأخرجه الحاكم- (٣١٣٧)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وقال الترمذي: هذا حديث غريب من هذا الوجه. وضعفه الألباني في (السلسلة الضعيفة- ١٢٤٨).
[٢٢] لم يذكر الشيخ القول الثاني.

المتعددة في البحث عن التفاوت، وفي قراءة: {مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوّتٍ}، بتشديد الواو، وفي هذا دعوة إلى أن يتفكر الإنسان في ملكوت السموات والأرض فهذا من أعظم دلائل الإيمان يقول الله تعالى: {قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ} [يونس: ١٠١]، فحريٌ بالمؤمن أن يستمد مادة الإيمان مما بثه الله تعالى في العالم العلوي والعالم السفلي بأن ينظر نظر المتدبر ليلًا أو نهارًا فحينما تنظر في النهار إلى هذه القبة الزرقاء التي جعل الله تعالى فيها الشمس ضياءً تنشر أشعتها ووهجه وتنظر في أقطار السموات فلا تجد موضع إبرة واحدة من صدع أو فتق أو شق، وحينما تنظر بالليل إلى السماء المرصعة بالنجوم، تشعشع هنا وهناك فتجد خلقًا بديعًا، ثم فوق ذلك هذا النظام البديع لها مشارق ومغارب ولها منازل وبروج في حركة منتظمة دقيقة لا تحيد قيد أنملة. فلا ريب أن هذا مما يغذي الإيمان ويورث تعظيم الرب في قلب المؤمن، ثم هذه الربوبية تفرض عليه أن يوحده بالعبادة؛ فإن طريقة القرآن الاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد الألوهية، فالذي خلق السموات والأرض بهذا الأبداع وهذا الانتظام والاتساق حقيقٌ بأن يعبد وحده دون ما سواه.

قوله: {وَلَقَدْ زَيَّنَّا}، أي: جمَّلنا و حسنَّا.

قوله: {السَّمَاءَ الدُّنْيَا}، أي: أقرب سماء إلى الأرض، وسميت دنيا لدنوها الأرض وفوقها ستة سموات أخر.

قوله: {بِمَصَابِيحَ}، أي: بالنجوم الثابتة والسيارة، كان العرب يسمون بعض النجوم بالثابتة وبعضه بالسيارة بحسب ما يبدو للنظر، والواقع أن جميع ما في الكون متحرك كما قال الله تعالى: {كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء: ٣٣]، فالنجوم زينة السماء.

قوله: {وَجَعَلْنَاهَا رُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ}.

فالحكمة من خلق النجوم ثلاثة أمور:

الأول: أنها زينة للسماء.

الثاني: أنها رجوم للشياطين. كما قال الله تعالى: {وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَاعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَنْ يَسْتَمِعِ الْآنَ يَجِدْ لَهُ شِهَابًا رَصَدًا} [الجن: ٩]، فحرس الله السموات بالشهب التي تنفصل عن الأجرام السماوية فتصيب الشيطان الذي يحاول أن يسترق السمع، فأما في عهد النبوة ووقت تنزل الوحي فقد حرس الله تعالى السموات من استراق الشياطين والجن السمع حفظًا لوحيه، لكن ما قبل زمن النبوة وما بعده عادت الشياطين إلى استراق السمع (وَوَصَفَ سُفْيَانُ بن عيينة بِيَدِهِ، وَفَرَّجَ بَيْنَ أَصَابِعِ يَدِهِ الْيُمْنَى، نَصَبَهَا بَعْضَهَا فَوْقَ بَعْضٍ – فَرُبَّمَا أَدْرَكَ الشِّهَابُ الْمُسْتَمِعَ قَبْلَ أَنْ يَرْمِيَ بِهَا إِلَى صَاحِبِهِ فَيُحْرِقَهُ، وَرُبَّمَا لَمْ يُدْرِكْهُ حَتَّى يَرْمِيَ بِهَا إِلَى الَّذِي يَلِيهِ، إِلَى الَّذِي هُوَ أَسْفَلَ مِنْهُ، حَتَّى يُلْقُوهَا إِلَى الأَرْضِ وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: حَتَّى تَنْتَهِيَ إِلَى الأَرْضِ فَتُلْقَى عَلَى فَمِ السَّاحِرِ، فَيَكْذِبُ مَعَهَا مِائَةَ كَذْبَةٍ، فَيُصَدَّقُ فَيَقُولُونَ: أَلَمْ يُخْبِرْنَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا، يَكُونُ كَذَا وَكَذَا، فَوَجَدْنَاهُ حَقًّا؟ لِلْكَلِمَةِ الَّتِي سُمِعَتْ مِنَ السَّمَاءِ)[٢٣].

الثالث: أنها علامات كما قال الله تعالى: {وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ} [النحل: ١٦]، فمن فوائد النجوم أنها تهدي في ظلمات البر والبحر فيستدل الناس بمواقع النجوم على الاتجاهات، فمثلًا النجم القطبي: يدل على الشمال. وبقية النجوم لها مواقع كما قال الله تعالى: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (٧٥) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} [الواقعة: ٧٥، ٧٦]، والمشتغلون بعلم الفلك يعلمون في هذا علومًا واسعة ويقيسون المسافات بين هذه النجوم بالسني الضوئية، الدالة على اتساع الكون وتباعد أقطاره. والسنة الضوئية يقدرونها بما يقطعه الضوء في ثلاثمئة ألف سنة، تصور أن ضوء الشمس يصلنا في ثمان دقائق، وأن

[٢٣] أخرجه البخاري- (٤٧٠١).

أقرب نجم إلى الأرض بعد الشمس نجم يقال له (قنطورس) يستغرق النور منه ليصل إلى الأرض أربعة سنين، فهذا خلق عظيم هائل كما قال الله تعالى: {وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ} [الذاريات: ٤٧].

وَقَالَ قَتَادَةُ: ({وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ} [الملك: ٥] خَلَقَ هَذِهِ النُّجُومَ لِثَلَاثٍ: جَعَلَهَا زِينَةً لِلسَّمَاءِ، وَرُجُومًا لِلشَّيَاطِينِ، وَعَلَامَاتٍ يُهْتَدَى بِهَا، فَمَنْ تَأَوَّلَ فِيهَا بِغَيْرِ ذَلِكَ أَخْطَأَ، وَأَضَاعَ نَصِيبَهُ، وَتَكَلَّفَ مَا لاَ عِلْمَ لَهُ بِهِ)[٢٤].

قوله: {وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ}،أي أعددنا وهيأنا فعقابهم الدنيوي رجم النجوم، وعقابهم الأخروي قوله: {وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ}.

ولما كان بعض الآدميين مثل هؤلاء الشياطين قال الله تعالى: {وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ}، وشيءٌ بئسه الله ماذا يمكن أن يكون!

قوله: {إِذَا أُلْقُوا فِيهَا سَمِعُوا لَهَا}، الكفار يوم القيامة لا يحاسبون محاسبة من توزن سيئاته وحسناته؛ لأنهم لا حسنات لهم قال الله تعالى: {وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا} [الفرقان: ٢٣]، وإنما يقررون بذنوبهم فيقرون بها، ويعترفون على رؤس الخلائق من باب إقامة الحق وإظهاره، ثم تغل أيديهم إلى أرجلهم إلى أعناقهم فيقذفون في النار.

وقوله: {أُلْقُوا}، يدل على أن النار في أسفل سافلين؛ وإنما يلقى في الحفر والألقاء يدل على الإهانة، كما قال الله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِ رَبِّكُمْ وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بَلَى} [الزمر: ٧١]، فتحصل لهم المفاجئة التي تبهتهم.

[٢٤] أخرجه البخاري معلقًا موقوفًا من قول قتادة- (كتاب بدء الخلق- باب في النجوم).

قوله:{شَهِيقًا وَهِيَ تَفُورُ}، الشهيق: هو الصوت الفظيع، وتفور: أي تغلي كما يغلى القدر حنقًا عليهم وهذا مؤلم بالسماع، لهذا قال الله تعالى: {كَادُ تَمَيَّزُ مِنَ الْغَيْظِ}، أي تكاد هذه النار ذات الصفة المجتمعة أن تتقطع من شدة تغيظها وهذا يدل على أن النار لها حقيقة و معنى قال الله تعالى: {يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ} [ق: ٣٠]، وهذا يدل على أنها تُسئل وتجيب وتعقل ربها. قوله: {كُلَّمَا أُلْقِيَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}، أي كلما ألقي فيها جماعة من أهلها وهذا يدل على أن كل جماعة تقذف على حده، كما أن كل أمة تجثوا على حده قال الله تعالى: {وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً } [الجاثية: ٢٨]، فيقذفون أفواجًا أفوجا، فحينئذ يسألهم الملائكة وهم خزنة النار الموكلون بعذاب أهلها قال الله تعالى: {وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً} [المدثر: ٣١]، وعدد رؤسائهم تسعة عشر قال الله تعالى: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر: ٣٠]، ونوع السؤال في الآية سؤال توبيخ وتبكيت وهو مؤلم جدًا كما لو سأل السارق والقاتل لِمَ فعلت كذا؟ ألم تعلم بكذا؟ فيزداد ألمًا.

قوله:{قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ}، هذا جواب السؤال في الآية السابقة وهو قوله تعالى: {أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ}، قالوا: {بلى}، وذلك؛ لأن الله قال: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ} [النساء: ١٦٥]، فردوا بقولهم: {قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ}، وهذا يبين أن أهل النار ليس عندهم أدنى ذرة من شك استحقاقهم للنار، ولذلك يعربون عن إقرارهم بهذه الكلمات الواضحات بقولهم: {بلى}، وكلمة (بلى)، تقع جوابًا إذا كان السؤال مصدرًا بالهمزة كما في الآية (أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ)، فيكون الجواب (بلى) وليس (نعم).

قوله: {فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ}، وفي هذه الآية ما يدل على أنهم كذبوا التكذيب الخاص والتكذيب العام، فلم يقتصروا بالتكذيب على ما أنزل إليهم، بل تمادوا

في التكذيب حتى أنكروا أن يكون أنزل الله شيئًا، وكلمة (شَيْءٍ)، نكرة في سياق النفي فتدل على العموم قال الشيخ السعدي[٢٥]:

والنكرات في سياق النفي تعطي العموم أو سياق النهي

فكأنهم أنكروا أن يكون الله أنزل كتبًا أو أرسل رسلًا، وهذا من المبالغة في التكذيب والطغيان.

قوله: {إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ}، وهذا من بغيهم واستطالتهم، وهو من طبيعة الطغاة أنهم يضللون أهل الحق فوصفوا النذر الذين أرسلوا إليهم بأنهم في ضلال والضلال: هو الضياع والتيه والخطأ، و لم يقتصروا على قولهم: (فِي ضَلَالٍ)، بل قالوا: (كَبِيرٍ)، وهذا هو حال أعداء الرسل ومنطقهم دومًا، فهذا فرعون أكبر الطغاة يقول لقومه: {مَا أُرِيكُمْ إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ} [غافر: ٢٩]، ويقول عن موسى عليه السلام: {إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ } [غافر: ٢٦]، وسبحان الله! فمن المفسد حقًا؟، إنه هو المفسد! ومع ذلك يلقي بالتهمة على موسى عليه السلام، فهذا شأن الطغاة؛ نبذ أهل الحق بألقاب السوء؛ لأجل أن ينفروا الناس عنهم ويبغضوهم بما جاؤوا به.

قوله: {وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ}، هذا ندم ولات ساعة مندم، ومن المؤكد أنه كان لهم أسماع و عقول، لكن أسماعٌ لم تنفعهم وعقولٌ لم تنفعهم؛ **لأن السمع نوعان.**

[٢٥] نظم القواعد الفقهية من تأليفه.

النوع الأول: سمع إدراك، وهو انتقال ذبذبات الصوت إلى طبلة الأذن إلى العصب السمعي فيدرك العقل أن هذا صوت كذا وكذا. فهذا يشترك فيه الآدميون والحيوانات والطيور وغيرها من المخلوقات، و ليس المقصود في الآية.

النوع الثاني: السمع الذي نفوه عن أنفسهم: هو السمع الذي ينفع، فليس كل من سمع انتفع بسمعه. ربما عاد سمعه وبالاً عليه، فالنبي صلى الله عليه وسلم قال: { وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٌّ، وَلَا نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ، إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ}[٢٦]، فقد سمع لكنه لم ينتفع بسماعه، أما أهل العلم والإيمان فإذا سَمِعوا انتفعوا قال الله تعالى: {وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ} [المائدة: ٨٣].

كذلك العقل فليس كل من أدرك فهو عاقل، فكل أحد يدرك أن نصف الاثنين واحد، وأن السماء فوق الأرض، وأن الثلج بارد وأن الماء الذي يغلى حار، فهذا عقل إدراك؛ لكن العقل الذي ينفع صاحبه هو الذي يهديه إلى الحق.

قوله: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ}، قد أعذر الله إلى عباده، حيث أرسل رسلًا وأنزل كتبًا وأقام الحجة ولم يُبقِ لأحدٍ عذرًا يعتذر به إلا الحجة الرسالية قال الله تعالى: {وَإِنْ مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: ٢٤]، وقال أيضًا: {وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا} [الإسراء: ١٥]، فإن قال قائل: فما القول فيمن لم تبلغه الرسالة، ممن قد يوجدون في مجاهيل إفريقيا، أو غابات الأمازون، أو في أطراف الدنيا؟، فالجواب: لو قدر وجود أحد لم تبلغه الرسالة؛ فإن الله تعالى يختبره يوم القيامة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ

[٢٦] أخرجه مسلم- (١٥٣).

مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا، وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ، وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جَاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا، وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ فِي الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ، فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنْ ادْخُلُوا النَّارَ، قَالَ: فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا)[٢٧]؛ والله تعالى أعلم بما هم عاملون، لكن من باب إقامة الحق والعدل يجعل لهم هذا الاختبار. فيجب على كل مؤمن ومؤمنة أن يثق أنه لا يهلك على الله إلا هالك، وأن الله ليس بظلام للعبيد، وأن الله قد أقام الحجة على كل أحد ولا أدل على ذلك من اعتراف هؤلاء كما قال الله تعالى: {فَاعْتَرَفُوا بِذَنْبِهِمْ}.

{فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ}، سحقًا بمعنى بعدًا؛ و المكان السحيق هو المكان البعيد كقول الله تعالى: {أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ} [الحج: ٣١]، وهذا دعاء عليهم وقضاء. وينبغي للإنسان أن يكثر مداواة قلبه بذكر الجنة والنار، وبعض الناس يتحاشى ذكر النار ولا يريد أن يمره على قلبه؛ لأنه مبعث إزعاج، كحال اليهود الذين قال الله عنهم: {لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَاتٍ} [آل عمران: ٢٤]، وقلَّ أن تجد في كتب اليهود ذكر النار إلا النادر القليل؛ لأنهم يعلمون أن مآلهم إليها، فيجب على الإنسان أن يعظ نفسه بذكر الجنة والنار، و لم يزل أهل العلم يبوبون في كتبهم باب صفة الجنة باب صفة النار، وفي القرآن العظيم آيات كثيرة في صفة الجنة والنار، كقول الله تعالى: {وَلَهُمْ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ (٢١) كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ أُعِيدُوا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ} [الحج: ٢١، ٢٢]، وقول الله تعالى: {وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا} [فاطر: ٣٧]، كما يجد الإنسان ذكر آيات الجنة وما فيها من نعيم كقول الله تعالى: {وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ} [الزخرف:

[٢٧] أخرجه أحمد- (١٦٣٠١)، وحسنه الأرنؤوط، وصححه الألباني في "الصحيحة" (١٤٣٤) وله شواهد متعددة ، ذكرها ابن كثير في تفسيره (ج٥/من صفحه٥٠إلى٥٣) .

٧١]، وقوله تعالى: {وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ} [سبأ: ٣٧]، ونحو ذلك من الآيات التي تُحفز الإنسان على طلب الجنة والنجاة من النار.